مفهوم التضرع في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

الدكتورة/ ابتسام مقبول عبدالكافي مقبول

أستاذ مساعد تخصص (التفسير وعلوم القرآن)

بقسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية

مفهوم التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الدكتورة/ ابتسام مقبول عبدالكافي مقبول
تخصص (التفسير وعلوم القرآن) بقسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : immagbul@ugu.edu.sa

المستخلص:

يتناول هذا البحث: مفهوم التضرع في القرآن الكريم. دراسة موضوعية، وتأتي أهمية هذا البحث من أهمية التضرع في حياة المؤمن وآخرته، واعتناء القرآن الكريم ببيان التضرع في كثير من آياته، بمعناه، ومترادفاته، ومواطنه، والحاجة الماسة لتوضيح مفهوم التضرع، وذلك لتعلقه بالدعاء، إذ الدعاء هو العبادة، وارتباط موضوع التضرع بتحقيق النصر، إذ الدعاء هو سلاح المؤمن، وقد هدف البحث إلى: إبراز مفهوم التضرع في ضوء القرآن الكريم، ودراسة مفهوم التضرع دراسة موضوعية، وإيضاح كثير من الأقوال التفسيرية في الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة، ومعرفة مرادفات التضرع، ومواطنه، وموانعه.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج من أبرزها أن للتضرع ألفاظًا مترادفة، وهي التوسل، والابتهال، والخشوع، والإخبات، وأن التضرع ليس مقصورًا على الدعاء، بل يكون أيضًا في الذكر، لورود ذلك في القرآن، والتضرع يكون في البأساء والضراء وعند الشدة والبلاء، وعند إعلان افتقار العبد لربه، ومن موانع التضرع قسوة القلب، وتزين الشيطان الشر، والاستكبار عن الحق والغفلة .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – التضرع – التفسير الموضوعي – التوسل – الابتهال – الخشوع.

The Concept of Supplication in the Noble Quran:

An Objective Study

Ibtesam Mekbool AbdulKafi Mekbool
Specialization in (Interpretation and Qur'anic Sciences), Department of the Qur'an and Sunnah, College of Jurisprudence and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: immagbul@ugu.edu.sa

Abstract:
This research addresses the concept of supplication in the Noble Quran through an objective study. The significance of this research lies in the importance of supplication in the life of believers and their hereafter, as well as the Quran's emphasis on expressing supplication in many of its verses, including its meaning, synonyms, contexts, and the urgent need to clarify the concept of supplication. This is due to its connection with prayers, as supplication is an act of worship, and its association with achieving victory, as supplication is the weapon of the believer. The research aims to highlight the concept of supplication in the light of the Noble Quran, study the concept of supplication objectively, elucidate various interpretative statements regarding verses that mention this term, and explore the synonyms, contexts, and obstacles of supplication.The research has reached several conclusions, including the fact that supplication has synonymous terms such as "tawassul" (seeking intercession), "ibtihal" (invocation), "khushu' " (humility), and "ikhbat" (entreaty). It also concludes that supplication is not limited to verbal prayers but can also be expressed through remembrance, as mentioned in the Quran. Supplication is offered in times of hardship, adversity, distress, and when a servant acknowledges their need for their Lord. Among the obstacles to supplication are hardness of heart, the adornment of evil by Satan, arrogance against the truth, and heedlessness.

Keywords: Noble Quran, Supplication, Objective Interpretation, Tawassul, Ibtihal, Khushu'.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن التضرع إلى الله جل وعلا، والذل، والانكسار بين يديه ، من أهم وأجل العبادات القلبية، والمؤمن يحتاج إلى أن يتعلم معنى التضرع كي يقوم بهذه العبادة بصدق في يومه وليلته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى– مبنيًا أهمية التضرع إلى الله جل وعلا في حال الذكر والدعاء، وأنه روحهما ووليهما، والمقصد منهما:(وتأمل كيف قال في آية الذكر ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ [1]، وفي آية الدعاء ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [2]، فذكر التضرع فيهما معًا، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر، والدعاء) [3].

ولما للتضرع من أهمية للمؤمن في حياته وآخرته رأيت تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فوسمته بالتضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن قيمة أي بحث تكمن في أهمية الموضوع الذي يتناوله، فبقدر شرف الموضوع يكون شرف الدراسة، وحسبك بالتفسير شرفًا، إذ الموضوع يتعلق بكتاب الله تعالى، وأهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره تتلخص فيما يلي :

١. اعتناء القرآن الكريم ببيان التضرع في كثير من آياته، بمعناه، ومترادفاته، ومواطنه.

---

(١) سورة الأعراف (٢٠٥).

(٢) سورة الأعراف (٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى،شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. (١٥/١٩-٢٠).

٢. الحاجة الماسة لتوضيح مفهوم التضرع، وذلك لتعلقه بالدعاء، إذ الدعاء هو العبادة.

٣. شدة ارتباط موضوع التضرع بتحقيق النصر، إذ الدعاء هو سلاح المؤمن.

ثانيًا: أهداف الموضوع:

لقد أردت من خلال بحثي في هذا الموضوع تحقيق الأهداف الآتية :

١. إبراز مفهوم التضرع في ضوء القرآن الكريم.

٢. دراسة مفهوم التضرع دراسة موضوعية، وإيضاح كثير من الأقوال التفسيرية في الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة.

٣. معرفة مرادفات التضرع، ومواطنه، وموانعه.

٤. إظهار أسلوب القرآن الكريم في ذكر نماذج من التضرع.

ثالثًا: الدراسات السابقة:

لم تُعْنَ دراسة –على حد اطلاعي– بموضوع: مفهوم التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية، غير أن هناك دراسة عن هذا الموضوع لامست مسائل وجزئيات تدخل في هذا البحث، وهذه الدراسة هي: التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور/ علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم النجاشي، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٨٤) للعام ٢٠٢١م، وقد اطلعت على هذا البحث بعد فراغي من بحثي هذا، ووجدته يتلامس معه في تعريف التضرع فقط، أما نقاط الاختلاف فقد تناول الباحث في بحثه بيان ارتباط التضرع بالدعاء والذكر، وفضل التضرع في في الدعاء في القرآن الكريم والأمر به، وفضل التضرع في الذكر، وتضرع المؤمن، وتضرع الكافر، وموانع التضرع، وحديث القرآن عن التضرع، أما بحثي فقد تناول: مترادفات التضرع(التوسل– الابتهال – الإخبات– والخشوع)، ومواطن التضرع عند الدعاء، وعند الذكر، وعند الشدة والبلاء المؤمنون، وعند إعلان افتقار العبد

لربه، وتناول أيضًا: موانع التضرع، مثل: قسوة القلب، وتزين الشيطان، والشرك والاستكبار عن الحق، والغفلة، ثم عرض البحث لنماذج من حياة الأنبياء في الصدق في التضرع لله عز وجل.

وتأسيسًا على ما سبق فلا يمنع دراسة هذا الموضوع بهذه الخطة المختلفة من باب التكامل بين البحثين في هذا الموضوع.

رابعًا: منهج البحث: سأتبع – بعون الله تعالى وتوفيقه – في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال استخراج الآيات القرآنية المتعلقة بالتضرع، ومرادفاته، ووضع عناوين لها، ثم دراسة هذه الآيات دراسة تفسيرية موضوعية متعمقة، واتبعت الإجراءات الآتية:

١. أثرى بحثي إن شاء الله بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة المبنية لآيات التضرع من القرآن الكريم، وسوف أقوم بتخريجها من مصادرها الأصلية، ثم الحكم عليها من خلال أقوال العلماء.
٢. أعزو الأقوال إلى قائلها مع اختيار المصادر الأصلية، والعزو إليها.
٣. ألتزم في الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وترقيمها، وعزوها إلى سورها.

خامسًا: خطة البحث:

الفصل الأول: التضرع معناه، ومترادفاته في ضوء القرآن الكريم، ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: معنى التضرع لغًة، واصطلاحًا، والعلاقة بين المعنى اللغوي، والاصطلاحي.

المطلب الأول: معنى التضرع لغًة.

المطلب الثاني: معنى التضرع اصطلاحًا.

المبحث الثاني: مترادفات التضرع.

ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: التوسل .

المطلب الثاني: الابتهال .

المطلب الثالث: الإخبات.

المطلب الرابع: الخشوع.

الفصل الثاني: مواطن التضرع، ويشتمل على أربعة مباحث.

المبحث الأول: التضرع عند الدعاء.

المبحث الثاني: التضرع عند الذكر.

المبحث الثالث: التضرع عند الشدة والبلاء المؤمنون.

المبحث الرابع: التضرع عند إعلان افتقار العبد لربه.

الفصل الثالث: موانع التضرع ونماذجه، ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: موانع التضرع.

المطلب الأول: قسوة القلب.

المطلب الثاني: تزين الشيطان.

المطلب الثالث: الشرك والاستكبار عن الحق.

المطلب الرابع: الغفلة.

المبحث الثاني: نماذج من حياة الأنبياء عليهم السلام في صدق التضرع إلى الله.

المطلب الأول: تضرع النبي ﷺ.

المطلب الثاني: تضرع موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: تضرع زكريا عليه السلام الأنبياء.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول: التضرع معناه ومترادفاته في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى التضرع لغةً واصطلاحًا والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

المطلب الأول: معنى التضرع لغةً.

يأتي التضرع بمجموعة من المعاني :

١. اللين: قال ابن فارس رحمه الله:"(ضرع) الضاد والراء والعين أصل صحيح يدل على لين في الشيء. من ذلك ضرع الرجل ضراعة، إذا ذل"(١).

٢. التذلل:قال ابن منظور رحمه الله تعالى:"التضرع التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة. يقال: ضرع يضرع، بالكسر والفتح، وتضرع إذا خضع وذل"(٢)، وجاء في بصائر التمييز:"تدعونه تضرعًا وخفيه: أي مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الله" (٣).

٣. الابتهال: قال ابن منظور:" ضرع: ضرع إليه يضرع ضرعًا وضراعة: خضع وذل، فهو ضارع، من قوم ضرعة وضروع، وتضرع: تذلل وتخشع، ويقال: ضرع فلان لفلان وضرع له إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه؛ ويقال: ضرع له واستضرع، والضارع: المتذلل للغني. وتضرع إلى الله أي ابتهل"(٤)، والتضرع مشتق من الضرع: من قولهم ضرع البهم، إذا تناول ضرع أمه، وهو

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٣٩٥/٣).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ. مادة ضرع (٢٢٢/٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م، مادة ضرع (٤٧٣/٣).

(٤) لسان العرب ، مادة ضرع (٢٢١/٨).

الذي يدر منه لبنها، وأضرعت الشاة: نزل اللبن في ضرعها؛ لقرب نتاجها، وشاة ضريع، عظيمة الضرع [١] والجمع ضروع، وجاء في كتاب الفروق: "الضرع معرض لحالبه، والشارب منه، فالضارع هو المنقاد الذي لا امتناع به، ومنه التضرع في دعاء والسؤال وغيرهما"[٢].

المطلب الثاني: تعريف التضرع اصطلاحًا.

ذكر العلماء عدة تعريفات اصطلاحية للتضرع، فمنهم من عرّفه بقوله: "طلب كشف البلاء من القادر عليه"[٣]، وعرَّفه صاحب التفسير الكبير بقوله: "هو عبارة عن الانقياد، وترك التمرد، وأصله من الضراعة، وهي الذلة"[٤].

من خلال ما سبق يظهر لي أن معنى التضرع في الاصطلاح هو: الالتجاء إلى الله في خضوع، وتذلل، وخشوع، وشدة فقر إليه، قال السعدي:" تضرعًا أي: إلحاحا في المسألة، ودُعُوبا في العبادة"[٥].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة ضرع (٣٩٥/٣)، والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ. (٥٠٦)، ولسان العرب، لابن منظور (٢٢٢/٨).

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ت. مادة ضرع (٢٥٠).

(٣) تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩م. (٨٩/١).

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ. (٥٣٣/١٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. (٢٩١).

وتأسيسًا على ما تقدم في المعنى اللغوي والاصطلاحي يتطابق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي، ويظهر أن التضرع هو: الالتجاء إلى الله في خضوع وتذلل وخشوع مع شدة الفقر إليه والإلحاح

المبحث الثاني: مترادفاته

المطلب الأول: التوسل.

التوسل لغة: التوسل بالدعاء إلى الله عزوجل والتقرب إليه بالرغبة [١].

التوسل اصطلاحًا: هو التقرب إلى الله جلا وعلا بما يرضيه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه [٢]، قال تعالى:﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [٣].

قال الواحدي:"يتضرعون إلى الله في طلب الجنة، والوسيلة للدرجة العليا، وقد تكون القربى على الله، وما يقربك من رحمته"[٤]، فهم يطلبون إلى ربهم القربى، والفضيلة بالطاعة، فالوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعمل وتحري مكارم الشريعة، فهي القربة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م. (٤٣٣/١).

(٢) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان الخثعمي، النجدي (ت ١٣٤٩هـ)، تحقيق: عبد السلام بن عبد الكريم، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م،(٤٩٤)، والتوسل في كتاب الله عز وجل، طلال بن مصطفى عرقسوس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. (ص٢٠).

(٣) سورة الإسراء (٥٧).

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. (١١٣/٣).

الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها، تتناول كل واجب ومستحب .

ويكفي الوسيلة شرفًا ورفعًة وعلو أنها اسم لأعلى مكان في الجنة، حرص رسول الله ﷺعلى أن ينالها، ويتبوء مكانها، وهو لذلك أهل بها وجدير، يقول : ﷺ (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (١).

والتوسل نوعان :

توسل مشروع، وتوسل ممنوع، فالتوسل المشروع: التوسل إلى الله بالإيمان، والعمل الصالح، الذي هو دأب عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (٢).

إن التوسل إلى الله بالإيمان، والعمل الصالح، لا تختصر آثاره وثماره على الآخرة، بل يجد المؤمن ثمار ذلك في دنياه قبل آخرها، فعمله الصالح الذي عمر به أوقاته مازال يصونه ويحميه وسيخرجه بإذن الله من الضيق الذي هو فيه، ولقد ساق رسول الله ﷺ قصة النفر الثلاثة الذي آووا إلى غارٍ فدخلوه فسدَّت عليهم صخرة باب الغار، فما كان منهم إلا أن واجهوا الخطر المحدق بهم بالتوسل إلى الله بصالح أعمالهم.

---

(١) الحديث رواه مسلم، وهو حديث صحيح، صحيح مسلم، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة، صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م. (٢٨٨/١)، رقم الحديث(٣٨٤).

(٢) سورة آل عمران (١٩٣). ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، الطبعة الأخيرة – ١٤١٣هـ. (٣٥٣/٢).

ومن التوسل النافع التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فمن دعا الله عزوجل بها مستصحبًا معه الثقة والإخلاص، أجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، فقد سمع الرسول ﷺ رجلًا يقول: "اللهم إني أسالك بأني أشهدك أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: لقد سألت باسم الله الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دعا به أجاب"(١).

أما النوع الثاني فهو التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله مما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذات الأنبياء، والصالحين، أو جاههم أو حقهم ونحو ذلك، فهذا توسل بدعة مكفرة (٢).

العلاقة بين التضرع والتوسل:

التوسل: هو التقرب إلى الله جل وعلا بما يرضيه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فهو اتخاذ الوسيلة بين يدي الدعاء للاستجابة (٣).

أما التضرع: فهو عبارة عن الانقياد، وترك التمرد، وأصله من الضراعة، وهي الذلة (٤).

---

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، والحديث أخرجه أبو داود في سننه، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، باب الدعاء، (٦١٢/٢) رقم الحديث(١٤٩٣)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، (٦٤/٣٨)، رقم الحديث(٢٢٩٦٥)، والترمذي في سننه، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصرالطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم، (٥١٥/٥)، رقم الحديث(٣٤٧٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن عثيمين، (٣٥٥/٢).

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، (٢١٣/٢).

(٤) التفسير الكبير، للرازي (٥٣٣/١٢).

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن التوسل هو الطريق إلى التضرع، وأقرب الطرق إلى التوسل، الدعاء إلى الله بأسمائه وصفاته، فمتى دعا العبد ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى مع التضرع وشدة الإلحاح والطلب لا ترد دعوته.

المطلب الثاني: الابتهال.

الابتهال لغة: (بهل) الباء والهاء واللام. أصول ثلاثة: أحدها التخلية، والثاني جنس من الدعاء، والثالث قلة في الماء[١].

الابتهال اصطلاحًا: أن تمد يدك جميعًا بالدعاء، مخلصًا، متضرعًا، مع المبالغة في السؤال[٢]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٣].

والابتهال هو المبالغة في الدعاء، والتضرع مع الإخلاص[٤]، قال الكلبي: تجهد وتبالغ في الدعاء[٥]، فالمبالغة في الدعاء مع الاجتهاد والإخلاص ومد اليد

(١) مقاييس اللغة، (٣١٠/١)، (بهل).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٢١/٨)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ – ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م)، (٤١١/٢١)، (ضرع)، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني –مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى، ١٩٧١م، (١٩١/٦).

(٣) سورة آل عمران (٦١).

(٤) انظر التفسير الكبير، (٢٤٨/٨)، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، (١٧٢/٣).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م. (٨٤/٣).

بالدعاء ابتهالًا، وعن أنس ﷺ قال: "رأيت رسول الله ﷺ يرفع يده في الدعاء، حتى يرى بياض إبطيه"(١).

ومن نماذج الإبتهال عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عزوجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣). فرفع يديه قال: (اللهم أمتي أمتي وبكى)(٤).

العلاقة بين الابتهال والتضرع:

الابتهال اصطلاحًا: أن تمد يدك جميعًا بالدعاء، مخلصًا متضرعًا، مع المبالغة في السؤال(٥).

والتضرع اصطلاحًا: التذلل المبالغة في السؤال والرغبة(٦).

فمن خلال ما سبق يظهر لنا أن الابتهال أخص من التضرع، فكل مبتهل متضرع، وليس كل متضرع مبتهل.

المطلب الثالث: الخشوع

الخشوع لغة: خشع الرجل يخشع خشوعًا، إذا رمى ببصره إلى الأرض. واختشع،

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، (٦١٢/٢)، رقم الحديث (٨٩٥).

(٢) سورة إبراهيم (٣٦).

(٣) سورة المائدة (١١٨).

(٤) الحديث رواه مسلم، (١٩١/١)، برقم (٢٠٢). باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم.

(٥) مقاييس اللغة، (٣١٠/١)، (بهل).

(٦) انظر: لسان العرب (٢٢١/٨)، وتاج العروس، (٤١١/٢١)، (ضرع)، وجامع الأصول في أحاديث أحاديث الرسول، (١٩١/٦).

إذا طأطأ صدره وتواضع. والخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخداء، والخشوع في البدن والصوت والبصر. والتخشع لله: الإخبات والتذلل[١].

الخشوع اصطلاحًا: ثبات الخوف في القلب[٢]، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [٣]، قال الطبري رحمه الله:"الخشوع التذلل والخضوع" [٤].

قال مجاهد هو: غض البصر وخفض الجناح، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة، هاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء، أو أن يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا [٥]، "وقد حكيه عن الحسن بن علي ﷺ أنه إذا فرغ من وضوئه، تغير لونه، فقيل: له في ذلك فقال: يحق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه" [٦].

ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخره، الخشوع في الصلاة، فالصلاة بلا

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٠٨/١).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،(١٠٦٤/٣).

(٣) سورة المؤمنون (١–٢).

(٤) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤–٣١٠هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (١٠/١٧).

(٥) تفسير الكشف والبيان (٣٨/٧).

(٦) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ، (١٠٩).

خشوع كالجسد بلا روح، وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه: (اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي) [١].

فالقلب يخشع مهابة لله، وتوفيقًا، وتواضعًا، وتذللاً، ثم يتبعه خشوع الجوارح. وقد أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب[٢]، فالمحرك الأساسي للخشوع القلب، والجوارح مسبقة له، فإن الأعضاء تابعة للقلب، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، وفي حديث عن النعمان بن بشير قال ﷺ : (على أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلحت الجسد كله، وإذا فسدت فسدت الجسد كله، ألا وهي القلب)[٣] فلا يصلح القلب إلا بعبادة الخشوع، ومتى رفق الخشوع في القلب، استقر الجوارح بالعمل فآتت كل حين بإذن ربها، قال أبو حيان رحمه الله (وأفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح، وهي لها كالأصول التي تتشعب منها، لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)[٤].

العلاقة بين الخشوع والتضرع:

الخشوع في البدن والصوت والبصر. والتخشع لله: الإخبات والتذلل[٥]، أما

(١) رواه مسلم، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، صحيح مسلم، (٥٣٤/١)، رقم الحديث(٧٧١).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، (٩/١٨).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة – بيروت، د.ت، باب فضل من استبرأ لدينه، انظر: صحيح البخاري، (٢٠/١) رقم الحديث(٥٢)، ومسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، انظر: صحيح مسلم، (١٢١٩/٣)، رقم الحديث(١٥٩٩).

(٤) البحر المحيط، (٧٤٦/٢).

(٥) تهذيب اللغة، (١٠٨/١).

التضرع فهو التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة، فتضرع إذا خضع وذل"[١]، إلى الله، والتضرع يكون في القلب، فكل خاشع متضرع، وليس كل متضرع خاشع"[٢].

المطلب الرابع: الإخبات.

الإخبات لغة: قال ابن فارس، الخاء، والباء، والتاء أصل واحد، يدل على الخشوع [٣].

اصطلاحًا: الإخبات هو مخافه ثابتة في القلب، مثمرة لكثرة الخشوع، والخضوع، والتواضع مع اجتهاد، وملازمة، قال القرطبي:"الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب، وأصل الإخبات الاستواء، من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة: فالإخبات الخشوع والاطمئنان، أو الإنابة إلى الله عز وجل"[٤].

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾[٥].

في هذا الآية يبشر الله المخبتين، ثم ذكر لنا صفاتهم، وهي ذكر لله مع وجل القلب، والصبر على المصيبة، وإقام الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، قال

(١) لسان العرب، مادة ضرع (٢٢٢/٨).

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي ، مادة ضرع (٤٧٣/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة خبت (٢٣٨/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، (٢١/٩)، وانظر: جامع البيان، للطبري (٣٧٥/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ، (٥٥٠/١٢).

(٥) سورة الحج (٣٤–٣٥).

الطبري رحمه الله:"بشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين له بالتوبة"(١).

ومتى خضع العبد للأوامر والنواهي، وتذلل بين يدي ربه، مع صدق التوبة، حصلت له الثمرة، وهي إخبات قلبه لله عز وجل مع ثبات قلبه عليه، فيطمئن قلبه بالإيمان كاستقرار الأرض، قال ابن عاشور رحمه الله: "والإخبات: الإطمئنان والخشوع، أي : فيستقر ذلك في قلوبهم"(٢).

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

وقال الزمخشري رحمه الله: "واخبتوا إلى ربهم"، أي واطمأنوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته، بالخشوع والتواضع، من الخبت، وهي الأرض المطمئنة"(٤).

(١) جامع البيان، للطبري (٥٥٠/١٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠٣/١٧).

(٣) سورة البقرة (٢٦٠).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ، (٣٨٧/٢).

من خلال ما سبق يظهر لنا أن هناك علاقة بين خبت القلوب، وخبت الأرض، فالأرض خبت ذليلة خاشعة، متسعة منخفضة، والعبد المخبت فقير ذليل خاشع بين يدي ربه، منشرح صدره للأوامر، متواضع، وكما أن الأرض تكون خاشعة مخبتة، ولا يزيل خشوعها وخبتها إلى الماء الذي يورثها الحياة، فكذلك القلوب تكون فقيره ذليلة، فتحيا بالإيمان والقرآن، فترق وتخشع وتخبت.

العلاقة بين التضرع والإخبات:

المتضرع كثير الإلحاح والطلب، أما المخبت فهو الخاشع، فالتضرع أخص من الإخبات، فكل متضرع مخبت، وليس كل مخبت متضرع .

الفصل الثاني: مواطن التضرع

المبحث الأول: التضرع عند الدعاء

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: ادعوا أيها الناس ربكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة، والأصنام وتضرعًا...يقول تذللًا واستكانًة لطاعته، وخُفية، يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته، فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاة، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله [2]، فالله تعالى أمرنا في هذه الآية، بآداب لابد أن تتأدب بها، وهي التضرع، وخفض الصوت بالدعاء، وهو يجلب الخشوع والتذلل.

قال الرازي: لأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة، وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والإنكسار، وعمدة الدعاء الانكسار، والتبري عن حول النفس وقوتها، والاعتماد على فضل الله تعالى وإحسانه [3].

فمن تأدب بآداب الدعاء رزق الخشوع في الدعاء؛ لأن الدعاء لابد أن يكون مقرونًا بالتضرع والإخفاء.

وإن النفس شديدة الرغبة في الرياء والسمعة، فإذا رفع المرء صوته بالدعاء، امتزج الرياء به، فلا يبقى فيه فائدة البتة، ومن ثمَّ كان الأولى الإخفاء؛ ليبقى مصونًا عن الرياء، ويحسن الإسراء في حال اجتماع الناس في المساجد والمشاعر؛ إلا ما ورد فيه رفع الصوت من الجميع، كالتلبية في الحج، وتكبير العيدين [4].

---

(١) سورة الأعراف (٥٥).

(٢) تفسير جامع البيان، للطبري (٢٤٧/١٠).

(٣) التفسير الكبير، للرازي (٥١٩/٢١).

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (١٧٦/٨).

فالدعاء عبادة تقرب إلى الله، والداعي حيث يرفع يديه بالدعاء، فهو متقرب من الله بعبادة الدعاء، قال ﷺ : (الدعاء هو العبادة) [١].

لأن الدعاء يدخل في كثير من أنواع العبادة، والتضرع والخشوع فرد من أفراد تلك العبادة، فالداعي حيث يرفع يديه بالدعاء، وتوفرت في دعائه شروط الدعاء الصحيحة، فهو متضرع وخاشع .

قال القرطبي عند تفسير قول الله تعالى:﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢]: هذا أمر بالدعاء والتعبد به، ثم قرن جل وعز بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع، والاستكانة، والتضرع، ومعنى خُفية: أي سرًا في النفس؛ ليبعد عن الرياء، وبذلك أثنى الله على نبيه زكريا عليه السلام ، إذا قال مخبرًا عنه[٣] ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[٤].

ويوضح هذا المعنى الحديث الصحيح؛ قال صلى الله عليه وسلم :"يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده"[٥].

المبحث الثاني: التضرع عند الذكر

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[٦].

---

(١) إسناده صحيح، سنن أبي داوود، (٦٠٣/٢)، كتاب الوتر، باب الدعاء بمثله (١٤٧٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) سورة الأعراف (٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢٣/٧).

(٤) سورة مريم (٣).

(٥) رواه البخاري، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، صحيح البخاري، (٥٧/٤)، رقم الحديث(٢٩٩٢).

(٦) سورة الأعراف (٢٠٥) .

إن من آداب الذكر الواردة في هذه الآية، أن يكون الذاكر متعظًا بما في القرآن، متضرعًا خائفًا من الله، يذكره في خفاء، فمتى توفرت هذه الآداب عند الذكر كان من المتضرعين، قال الطبري رحمه الله: و"اذكر" أيها المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ في صلاة أو خطبة (ربك في نفسك)، يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، وتذكر معادك إليه عند سماعك"، تضرعًا، يقول: افعل ذلك تخشعًا لله، وتواضعًا له (وخيفة)، يقول: وخوفًا من الله أن يعاقب على تقصير، يكون منك في الاتعاظ والاعتبار وغفلة عمّا بين الله فيه من حدود، "ودون الجهر من القول" يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهر، يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء، إن دعوت غير جاهر، ولكن في خفاء من القول"[1].

وتضمنت الآية آدابًا خمسة للذكر:

الأول: أن يكون في نفسك من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[2]؛ لأن الإخفاء أقل في الإخلاص، وأقرب إلى الإجابة، وأبعد من الرياء .

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، عن قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا﴾ وهو التذلل والخضوع، والاعتراف بالتقصير؛ ليتحقق فيه ذلة العبودية؛ لعزة الربوبية .

الثالث: أن يكون على وجه الخفية من قوله تعالى: ﴿وَخِيفَةً﴾، أي: الخوف والخشية من سلطان الربوبية، وعظة الألوهية، من المؤَاخذة على التقصير في العمل، لتخشع النفس، ويخضع القلب .

الرابع: أن يكون دون الجهر من قوله تعالى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[3]؛ لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

(١) جامع البيان، للطبري (٦٦٧/١٠) .
(٢) سورة الأعراف (٢٠٥) .
(٣) سورة الأعراف (٢٠٥) .

الخامس: أن يكون على وجه المداومة مع البعد عن الغفلة، لقوله تعالى: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[١]. وفي قوله تعالى: ﴿رَّبَّكَ﴾ وفي بيان تخصيص الرب دون سائر الأسماء الحسنى في هذه الآية، يقول أيضًا:﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه بهذا المقام باسم كونه ربًا، أضاف نفسه إليه وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقرب والفضل والإحسان، المقصود منه، أن يصير العبد فرحًا مبتهجًا عند سماع هذا الإثم؛ لأن لفظ الرب يشعر بالتربية والفضل [٢].

المبحث الثالث: التضرع عند الشدة البلاء

أولًا: قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [٣].

قال الطبري رحمه الله: "فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليَّ، يخلصوا لي العبادة، يفردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة"[٤].

فقد أرسل الله إلى أممٍ سابقة، رسلًا يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكذب القوم رسلهم، فسلط الله عليهم الفقر والأمراض والمصائب، لكي يرجعوا عن غيهم ويتضرعوا إلى ربهم، ولكن منعهم من التضرع ما عندهم قسوة القلوب، وتلبيس الشيطان عليهم، حتى اعتقدوا أن ما هم عليه هو الحق[٥] .

---

(١) التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور/ علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم النجاشي، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٨٤) للعام ٢٠٢١م، (ص١٥٩).

(٢) التفسير الكبير، للرازي (٤٤٢/١٥).

(٣) سورة الأنفال (٤٢) .

(٤) جامع البيان، للطبري (٢٤٢/٩).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، (١١٢/٢)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٥٦).

ثانيًا: قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾(١).

وردت هذه الآية بعد ذكر خمسة أمم كذبت رسلها، وهم قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة عليهم، وعلى نبينا الصلاة والسلام أجمعين، والقصد منهم أخذ العبرة من تلك الأمم، فقد أرسل الله رسولًا إلى الأمم السابقة، فكذبوا رسلهم، فأخذناهم بالبأساء والضراء، فيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار؛ لينزجروا على ماهم عليه من الكفر والتكذيب(٢)، وهذه الآية فيها تسلية لرسول الله ﷺ .

ثالثًا: قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾(٣).

قال الطبري: فما خضعوا لربهم، فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ وما يتذللون له، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حيث أخذ الله قريش بسني الجدب، ودعا عليهم الرسول ﷺ (٤).

وقد اجتمع على هؤلاء الكفار أصناف العذاب، من الضيق في المعيشة، والجدب في الديار، وقتل بالسيف، والأسر يوم بدر، وأخذوا بالقحط والجوع، حتى أكلوا الميتة والكلاب(٥)، وقد ذم الله تعالى من لم يتضرع إليه ، ولم يستكن له وقت وقت البلاء (٦).

---

(١) سورة الأعراف (٩٤).

(٢) انظر: تفسير لباب التأويل، للخازن (٢/٢٣٠).

(٣) سورة المؤمنون (٧٦).

(٤) جامع البيان، للطبري (١٧/٩٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/١٤٣).

(٦) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ، (٥٥٣).

المطلب الرابع: التضرع عند إعلان افتقار العبد لربه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[١]، قال الطبري:"يا أيها الناس أنتم أولوا الحاجة والفقر إلى ربكم، فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنيكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم، والله هو الغني عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وغير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم، الحميد يعني المحمود على نعمه، فإن كل نعمة بكم وبغيركم، فمنه فله الحمد والشكر بكل حال"[٢].

فالخلق محتاجون إليه في كل نفس وطرفة ولحظة، فكيف لا ووجودهم به، بقاءهم به ؟، والله هو الغني عن الأشياء كلها الحميد المحمود بكل لسان. ولم يسمهم بالفقر للتحفير بل للتعظيم؛ لأن العبد إذا أظهر فقره لسيده ، الغني أغناه عن أشكاله وأمثاله [٣].

ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: "لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملك شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك،

(١) سورة فاطر (١٥).

(٢) جامع البيان، للطبري (٣٥٢/١٩).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ، (٥٢٩/٤).

فلا يلومن إلا نفسه" [1].

وفي يوم حنين قلَّ الافتقار إلى الله تعالى، ورأت النفوس كثرتها وقوتها وسلاحها وعتادها، وظنت أنه بهذا يكون النصر كادت تقع الهزيمة، يقص الله علينا هذا الأمر فيقول ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[2].

لقد كادت تنزل بالصحابة رضي الله عنهم العزيمة – وبينهم رسول الله ﷺ ؛ لأنهم غفلوا لحظة عن سر نصرهم، وتفوقهم على أعداءهم، إنها العبودية والافتقار إلى رب البريات، بالمقابل حين كمل الذل والافتقار إلى الله يوم بدر، نزل النصر وأيد الله تعالى المؤمنين بجنود من الملائكة، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)﴾ [3].

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، (١٩٩٤/٤)، رقم الحديث(٢٢٥٧)، باب تحريم الظلم.

(٢) سورة التوبة (٢٥) .

(٣) سورة آل عمران (١٢٣-١٢٩).

الفصل الثالث: موانع التضرع ونماذجه

المبحث الأول: موانع التضرع

المطلب الأول: قسوة القلب.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(١)]، قال القنوجي رحمه الله: "(ولكن قست) أي صلبت وغلظت فلم تضرع ولم تخشع (قلوبهم) واستمرت على ما هي عليه من القساوة ولم تلن للإيمان"[(٢)].

فأصحاب القلوب القاسية قد حجبوا عن الطاعات، وملأ الران قلوبهم، فأصبحت لا تستقبل الهدى والخير.

وحرمت الخشوع والتضرع على قدر إقبالها على الشهوات، قال ﷺ : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي)[(٣)].

فالقلب القاسي غليظ، وهذا هو القلب البعيد عن الله، قال ابن القيم رحمه

---

(١) سورة الأنعام (٤٣).

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، (١٤١/٤).

(٣) رواه الترمذي كتاب الزهد باب منه النهي عن كثرة الكلام (٢٤/١١)، وقال الترمذي حسن غريب وضعفه الشيخ ناصر الألباني في السلسلة الضعيفة، رقم (٩٢٠) (٣٢١/٢)، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:(فيجب علينا أن نكثر الكلام بذكر الله؛ لأنه سبب في لين القلب والرحمة، كثرة الكلام بغير ذكر الله هو سبب في قسوة القلوب، وهو عدم سماع الحق وقلة الخشية وعدم الخشوع والبكاء، انظر: الكبائر، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، (ص٤٦).

الله:" إن في القلب قسوة لا يذهبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله، وهذا لأن القلب كل ما اشتدت به الغفلة، اشدت به القسوة، فإذا ذكر الله ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله" (١).

فأصحاب القلوب القاسية البعيدة عن الله، إذا سلط الله عليهم مكاره وشدائد من الفقر والضيق في العيش أو الأمراض والأسقام، لم يعتبروا ولم يتعظوا، ثم إذا نقلهم إلى حال ضدها فسهل لهم الرزق والرخاء لم ينتفعوا أيضًا (٢)، ومتى ابتُلي العبد بهذه الأمور رسخت في قلبه حرم التضرع والخشوع، وأُبتليه بقسوة القلب، فأعظم مذيب للقلوب هو التضرع، والبكاء، والخشوع.

المطلب الثاني: تزين الشيطان

قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣)، قال الطبري رحمه الله في قوله:"﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ خرج مخرج القسم،كما يقال بالله وبعزة الله لأغوينهم، وعنى بقوله: لأزينن لهم في الأرض، لأحسنن لهم معاصيك، ولأحببنها إليهم في الأرض،﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: ولأضلنهم عن سبيل الرشاد، ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه، ولا طاقة لي به" (٤).

قال الخازن رحمه الله:"﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، يعنى لأزينن لهم حب الدنيا ومعاصيك ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يعنى بإلغاء الوسوسة في قلوبهم، وذلك أن إبليس

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م، (٧١).

(٢) انظر تفسير المراغي (١٠٢/٣-١٠٣).

(٣) سورة الحجر (٣٩).

(٤) جامع البيان، للطبري (٦٨/١٤).

لمّا علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له، حرص على إضلال الخلق بالكفر)"[١].

وتزيين الشيطان يكون بأمراض الشبهات، والشهوات .

أما القلوب الخاشعة المتضرعة التي امتلأت بالإيمان، ليس للشيطان عليها سبيل، فكلما ابتعد العبد عن طريق الشيطان، واعتصم بحبل الله، رزق التضرع والخشوع، والقلوب التي استحوذ عليها الشيطان، لا تنفع فيها مواعظ قد تجردت من تقوى الله ومخافة أمره وعميت بصيرتها عن الحق وانساقت إلى الشيطان، فساقهم إلى المعاصي، فغطى الران على قلوبهم، فانتكث القلب وأصبح أعلاه أسفله [٢]؛ لأن الشيطان "أحاط بهم من كل جهة، وغلب على نفوسهم، واستولى عليها" [٣].

المطلب الثالث: الشرك والاستكبار عن الحق

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٤]، قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ ، قل يا محمد لهؤلاء العادلين لربهم، الداعين إلى عبادة أوثانهم، من الذي ينجيكم من ظلمات البر إذا ضللتم فيه، فتحيرتم، فأظلم عليكم فيه السبيل، فلا تهتدون له، فمن غير الله الذي إليه مفزعكم، حينئذ بالدعاء تضرعًا منكم إليه[٥]. وأن حالهم أنهم لا يلجأون إلا إليه، ولذا قال سبحانه تدعونه تضرعًا وخُفية.

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٥٦/٣).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت، (ص٦٨).

(٣) البحر المحيط، أبو حيان (١٣٠/١٠).

(٤) سورة الأنعام (٦٣).

(٥) جامع البيان، للطبري (٢٩٤/٩).

أي أنكم في حالة الشدة تتجهون إليه سبحانه وتعالى بقلوبكم ونفوسكم، ولا تجدون ملجأ منه إلا إليه، ويظهر ذلك بالتجاء القلب صراعه وتذللًا، يجري على ألسنتكم، ولا تجدون سبيلًا للامتناع عن الجهر بالضراعة، والتذلل لله تعالى وتسليم الوجه له، فالتضرع دعاء الله مستمعين له الجهر والخفية خضوع النفس، واتجاهها قلبيًا إليه سبحانه، فقد صور الله ضراعتهم بقوله﴿ لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1]، فوبخهم الله على هذه الحال، من الدعاء الخالص المتضرع في حال الشدة ثم العودة إلى الشرك بعدها، فهم يدعون مع الله إلهًا آخر ملزمًا لهم مما أثبتوا من توحيد الربوبية على ما أنكروا من توحيد الألوهية [2].

المطلب الرابع: الغفلة

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3].

قال الطبري رحمه الله:"يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا، يعني سهوًا عن آياتي وحججي، وتركوا تدبرها، والاعتبار بها، والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها لا البهائم التي قد عرَّفها ربها وسخرها له"[4].

فمن غفل عن الإيمان بالله وطاعته، وتعلت حواسه عن العمل، وحرم من الخشوع، فهؤلاء هم الغافلون الكاملون في الغفلة، الذي لا أحد أغفل منهم؛ لأن

(١) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، د.ت، (٢٥٣١/٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/٧).

(٣) سورة الأعراف (١٧٩).

(٤) جامع البيان (٥٩٥/١٠).

الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها [١].

فإذا أراد الله بالعبد خيرًا فتح له سمعه وبصره وقلبه، وإذا أراد به شرًا أفسد عليه هذه الجوارح على قدر غفلته وبعده عن ربه، والمعافاة تكون بترك الذنوب والمعاصي، فمتى هجر العبد الذنوب، عوفي في سمعه وبصره وبدنه، فالختم على هذه الأعضاء يكون للكافر، أما العاصي فيحرم التضرع والخشوع، وتحصل له بذلك الغفلة، فيرتكب العبد المعاصي مع عدم إحساسه بعظمة المعطي؛ ذلك بسبب ضعف مراقبة الله في قلبه.

فالعبد الخاشع المتضرع مراقب لله تعالى، مستشعر نظر الله إليه في كل عمل من أعماله وفي حركاته وسكناته وفي صلاته وقراءته، فكل ما ضعف الذكر في القلب، قلة التضرع والخشوع، وذلك على الغفلة، فأساس الغفلة وأُسها هو ضعف الذكر في القلب، قال ابن القيم رحمه: "على قدر غفلة يكون البعد عن الله" [٢].

وبسبب الغفلة يتسلط الشيطان على الإنسان، روى مسلم في صحيحه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء) [٣].

ومن أسباب الغفلة: رد الدعاء، وعدم الاستجابة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن الرسول ﷺ قال: (القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل، أيها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد

(١) الكشاف، للزمخشري (٦٣٧/٢) .

(٢) الوابل الصيب، ابن القيم، (٤٢).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، (١٥٩٨/٣) برقم (٢٠١٨). باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

دعاه عن ظهر قلب غافل) [١].

جاء في إحدى آيات التضرع الحث على الذكر بتضرع والتحذير من الغفلة، وذلك في آية سورة الأعراف عند قوله تعالى:﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ [٢]، فأمر بالذكر ونهى عن عكسه، وهي الغفلة، بل إن الله أمرنا أن نكون من أهل الذكر والتضرع، يقول ابن القيم :"الغافل بينه وبين الله عزوجل وحشة، لا تزول إلا بالذكر" [٣].

المبحث الثاني: نماذج من حياة الأنبياء في صدق التضرع إلى الله.

المطلب الأول: تضرع النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [٤].

قال الطبري رحمه الله:"﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي: بدعائه حيث نظروا إلى كثرة عدوهم، وقلة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء الرسول ﷺ ، ودعائكم معه"[٥] "وذلك أن النبي ﷺ لما رأى كثرة المشركين ببدر علم أنه لا قوة لهم إلا بالله، فدعا ربه وتضرع إليه)" [٦].

(١) رواه أحمد (٢١٣/٦) رقم (٦٦٥٤) وصححه أحمد شاكر.

(٢) سورة الأعراف (٢٠٥).

(٣) الوابل الصيب (٦٣/١).

(٤) سورة الأنفال (٩).

(٥) جامع البيان، للطبري (٤١١/١٣).

(٦) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (١٦٠/٥).

كما جاء في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لما كان يوم بدر نظر الرسول ﷺ إلى المشركين فإذا هم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لي ما ودعتني، اللهم آتِ ما ودعتني، اللهم إن تهلك هذه الوصاية من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه مداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزوجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[١] فأمده الله بالملائكة" [٢].

المطلب الثاني: تضرع موسى عليه السلام.

قال تعالى:﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [٣]، قال الطبري رحمه الله:"﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال الطعام يستطعم لم يكن معه طعام، وإنما سأل الطعام)" [٤].

قال ابن عباس: قال موسى ذلك وقد لصق بطنه بظهره من الجوع وهو فقير إلى شق تمرة ولو شاء إنسان لنظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع. قال الضحاك: لأنه مكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا إلاّ بقل الأرض؛ فعرض لهما بحاله فقال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: شبعة من طعام، قاله ابن عباس. الثاني: شبعة يومين، قاله ابن جبير [٥].

---

(١) سورة الأنفال (٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم (١٧٦٣) (١٣٨٣/٣).

(٣) سورة القصص (٢٤).

(٤) جامع البيان ، للطبري (٢١٨/١٨).

(٥) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، د.ت، (٢٤٦/٤).

وقال السعدي رحمه الله:"فقال في تلك الحالة مسترزقًا ربه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، أي: أني مفتقر للغير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي، فهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال فلم يزل في هذه الحالة داعية ربه متملقًا، أما المرأتان فذهبتا إلى أبيهما وأخبرتاه بما جرى" (١).

"فلما أظهر على الصلاة والسلام صدق افتقاره إلى ربه جل وعلا مع صدق تضرعه في دعائه، جاءه الفرج ﴿جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، فاعقب الله جل وعلا (بالفاء) في قوله ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ الدالة على الترتيب والتعقيب المباشر، فجاءه الأمن إذ كان خائفًا ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وجاءته الزوجة إذ كان أعذب ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾، وجاء الرزق براعية الغنم ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وجاءه المسكن والمأوى بلبثه في مدين عشرة حجج ﴿عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ﴾ فما أعظمه من دعاء، وما أسرعها من إجابة" (٢).

المطلب الثالث: تضرع زكريا عليه السلام.

قال تعالى:﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٦١٤).

(٢) التضرع إلى الله ﷻ، د/ عبد الله العنزي، دار طيبة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ. (٦٦، ٦٧).

(٣) الأنبياء (٨٩-٩٠).

فقد تضرع عليه الصلاة والسلام، قال القرطبي:"﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ واذكر زكريا عليه السلام إذ نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، أي منفرداً لا ولد لي"(١).

سأل ربه أن يرزقه ولدًا، يرثه ولا يدعه وحيدًا بلا وارث، ثم أمره إلى الله فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي، فإنك خير وارث، أي: باق"(٢).

"زكريا عليه السلام كان مبتلى بالحرمان من الولد، وقد طال انتظاره له، وتطلعه إليه، حتى بلغ من الكبر عتيًا، فلما بلغ الحد الذي يقع عنده اليأس، لم يكن من اليائسين من روح الله، فدعا ربه فيما بينه وبين نفسه" (٣)، بصوت خفي ليكون أقوى في الاستجابة، وأدخل في الإخلاص، فاشتكى لله عزوجل من الضعف، ووهن العظم، وإنما ذكر العظم؛ لأنه عمود البدن، وبه قوامة، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقط قوته، ولأنه أشد مافيه وأصلبه.

فقد "كان دعاؤه دعاء مخلص عارف بأن الله تعالى قادر على ذلك، وإن بلغ هو وزوجته سن اليأس من الولد، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان سنه مائة، وسن زوجته تسعًا وتسعين"(٤).

من خلال ما سبق تبين لنا أن الله ذكر لنا تضرع الأنبياء، لنقتدي بهم، ونسير على خطاهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٣٦/١١).

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (٤١٨/٢).

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت، (٩٤٨/٩).

(٤) التفسير الكبير، الرازي (١٨٢/٢٢).

الخاتمة

يمكن إجمال أبرز نتائج البحث في النقاط الآتية:

١. رصد البحث للتضرع مجموعة من الألفاظ المترادفة، وهي التوسل، والابتهال، والخشوع، والإخبات.

٢. أثبت البحث أن التضرع ليس مقصورًا على الدعاء، بل يكون أيضًا في الذكر، ويكون في البأساء والضراء وعند الشدة والبلاء، وعند إعلان افتقار العبد لربه.

٣. أثبت البحث أن من موانع التضرع قسوة القلب، وتزيين الشيطان الشرك، والاستكبار عن الحق، والغفلة.

٤. علل البحث أن تضرع الأنبياء في القرآن الكريم إنما ذُكر لنقتدي بهم، ونسير على خطاهم.

التوصيات :

يوصي البحث بجملة من التوصيات أبرزها :

١. الرجوع إلى كتاب الله وتدبره وفهم معانيه والعمل به.

٢. العناية بأعمال القلوب، ومنها التضرع، والخشوع بما فيها من تزكية النفوس .

٣. العناية بالاقتداء بالنبي ﷺ في الذكر والدعاء .

٤. تربية النشئ الجديد على التضرع، وغرس مفهوم التضرع في نفوسهم منذ الصغر.

فهرس المصادر والمراجع

١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م).

٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٧. التضرع إلى الله ﷻ،د/ عبد الله العنزي، دار طيبة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

٨. التضرع في القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور/ علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم النجاشي، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٨٤) للعام ٢٠٢١م.
٩. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م.
١٠. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.
١١. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٢. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤- ٣١٠هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٣. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

١٤. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ.
١٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت.
١٦. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٧. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، د.ت.
١٨. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
١٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٢٠. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

٢١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٢٢. التوسل في كتاب الله عز وجل، طلال بن مصطفى عرقسوس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
٢٤. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني –مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى، ١٩٧١م.
٢٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٢٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٢٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصرالطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٩. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة – بيروت، د.ت.

٣٠. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

٣١. الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح الخثعمي، النجدي (ت ١٣٤٩هـ)، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣٣. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ت.

٣٤. الكبائر، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ.
٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
٣٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
٣٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
٣٩. مجموع الفتاوى،شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٤٠. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، الطبعة الأخيرة – ١٤١٣هـ.
٤١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن

عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٤٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٤٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٤٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

٤٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.